



تقديم العدد

تهتم الأنثروبولوجيا بمختلف المجتمعات البشرية، باختلاف درجات تعقدها، باعتبار الإنسان جوهر اهتمامها وانشغالها البحثي (علم الإنسان). غير أنها انشغلت، في بداياتها الأولى، بالمجتمعات القصية/ البعيدة، تلك المسماة في تقاليد الأنثروبولوجيا الكلاسيكية بالمجتمعات الغرائبية أو العجائبية (sociétés exotiques). اتسمت طبيعة هذه الدراسات والأبحاث الأنثروبولوجية، لاسيما تلك النماذج المرتبطة بالمجتمعات غير الأوربية والمنتجة في سياقات استعمارية، بالنزعة الإثنومركزية من حيث الانطلاق من تأويلات خاصة حول ثقافة هذه المجتمعات وبنياتها الاجتماعية والسياسية، والنظر إليها قياسا لدرجة تطورها، أو بمعنى أوضح مشبعة بمنطق المقارنة الأور مركزية بين المهيمن (أوربا) والمهيمن عليه (المستعمرات أو المفكر في استعمارها...).

في الواقع، لم تسلم المجتمعات المغاربية من هذه المنطلقات النظرية والنماذج الجاهزة ذات الطابع الاستعماري في تناولها لهذه المجتمعات. ورغم كل هذا فإن الإنتاج الأنثروبولوجي والاثنوغرافي زمن ما قبل الاستعمار، يحتل حيزا مهما في الإنتاج المعرفي حول المجتمعات المغاربية، حيث يقدم معطيات مهمة عن الأرض والمجتمع، وحركية القبائل وبنياتها الاجتماعية والثقافية (التقاليد والعادات ومختلف الطقوس الاجتماعية والدينية...)، والسياسية (تفكيك طبيعة السلطة السياسية وميكانيزمات تدبير العنف والسلم...) والاقتصادية (الموارد الاقتصادية وتنمية القطيع...) والجغرافية (أنواع النبات والمروفلوجيا، التحركات البشرية...)، فضلا عن رصد مميز للوقائع التاريخية.

إن العودة الهادئة إلى المنتج الأنثروبولوجي حول المجتمعات المغاربية، لاسيما ما بعد المرحلة الكولونيالية، يجعلنا ندرك طبيعة هذه الكتابات ومكانتها العلمية، بحيث ساهمت في تجاوز الخلفيات الاستعمارية والانفلات من عقل الإثنومركزية، فضلا عن محاولة تناول هذه المجتمعات تبعا لرؤية تزاوج بين الداخلي والخارجي فقد «كان الفصل، لزمن طويل، بين الملاحظ والملاحظ، في الأنثروبولوجيا، دقيقا ومحسوما في أمره، فالباحث

ينتهي بالضرورة إلى بلد غربي، كولونيالي في الغالب، وعليه التنقل كي يرصد المجتمعات والثقافات غير الغربية. استمر هذا التمييز في الهيمنة على الأنثروبولوجيا؛ لكن بكثير من الفوارق؛ من أهمها، فيما يتصل بموضوعنا، هناك مقدم أنثروبولوجيين إلى الساحة الأكاديمية، منحدرين من مجتمعات كانت موضوعا للأنثروبولوجيا من المنظور التقليدي. وهكذا يتحدث عن الأنثروبولوجيا الأهلية أو الأنثروبولوجيا المحلية.¹

لقد ساهمت أنثروبولوجيا القريب في إعادة قراءة المجتمعات المغاربية بصورة مغايرة، لا سيما تلك القراءات النقدية للإسهامات الكولونيالية من حيث إسقاط نماذجها وافترضاها «النظرية» الجاهزة، بما تحمله من خلفيات، على هذه المجتمعات. وهكذا سيحاول هذا العدد تناول الأنثروبولوجيا المغاربية انطلاقا من مداخل متعددة تجمع بين استحضار القراءة النقدية للإنتاج الأنثروبولوجي في سياقاته الاستعمارية أو ما بعد الاستعمارية، واستثمار هذا التراكم المعرفي في استحضار مجموعة من التجارب الميدانية من خلال مقارنة مواضيع أنثروبولوجية متنوعة تبحث، ميدانيا، في مختلف هذه المجتمعات المغاربية (المغرب، وتونس، والجزائر....).

د، أناس ابن الشيخ

¹ حسن رشيق، القريب والبعيد: قرن من الأنثروبولوجيا بالمغرب، تعريب وتقديم: حسن الطالب، (الدار البيضاء، منشورات المركز الثقافي للكتاب، 2018)، ص 31.